

نظمه بالخطأ أو الصواب ، بالفساد أو الحسن إلا كان مرد ذلك إلى ما اعترى العلاقات النحوية فيه من اضطراب واختلال ، أو ما جاءت عليه من دقة وانتظام ، يدل على ذلك أن قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه
وقول المتنبي :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
وقوله :

وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تُسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه
قد وصفت جميعا بفساد النظم وسوء التأليف ؛ وإذا تأملنا السبب في ذلك وجدناه يرجع إلى خروج كلا الشاعرين على مقتضى قواعد النحو وأحكامه من تقديم وتأخير ، وحذف وإضمار على نحو لا يسوغ ولا يصح وفقا لأصول علم النحو^(٩٥) . وإذا ثبت أن الفساد والاختلال ناجمان عن مخالفة قواعد النحو وأحكامه ثبت كذلك أن الالتزام بتلك القواعد في الكلام ، وترتيب الألفاظ وفقا لها هو مناط المزية والفضل^(٩٦) . والحق أن عبدالقاهر على الرغم من إلحاحه على هذه الفكرة في مواطن كثيرة من كتابه « دلائل الإعجاز » وتحليله لكثير من النماذج تحليلا عميقا كاشفا أصول نظريته ومؤيدا لها ، لم يستطع في بعض الأحيان أن يتغلغل إلى ما وراء العلاقات النحوية الماثلة في النص ، وخلا حديثه من بيان أي دلالة فنية كامنة فيها ، ومن ذلك تعليقه على قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذنبا دهر ، وأنكر صاحبٌ وسلط أعداء ، وغاب نصيرٌ
تكون عن الأهواز دارى بنجوةٍ ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ
وإني لأرجو بعد هذا محمدا لأفضل ما يرجي أخٌ ووزيرٌ
فهو يرد ما في هذه الأبيات من طلاوة وحسن - على حد تعبيره - إلى « تقديم

(٩٥) الوضع الصحيح للبيت الأول هو : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه . ففيه أربع مخالفات نحوية . والوضع في البيت الثاني هو : ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عوامل عمل السيوف . فقدم مفعول اسم الفاعل عليه . والوضع في البيت الثالث هو : وفاؤكما بأن تسعدا [أي تسعداني بمعنى تعيناني على البكاء] كالربيع أشجاء طاسمه ، والدمع أشفاه ساجمه .

(٩٦) انظر دلائل الإعجاز ص ٨١ - ٨٤ .